

الوصايا الاربعون فى اسرار الحج

الوصايا المعنوية الاربعون لضيوف الرحمن

(يرجى قراءة ذلك وان امكن توزيعها على من يريد الحج لتشاركهم الاجر
والثواب)

1- ان الحج عملية قصدية ، اذ ان الحج لغةً هو بمعنى القصد .. والذي ليس له قصد واعٍ للوصول الى درجة من درجات القرب الى المولى تعالى ، فلا يعد حاجا قاصدا .. فان قصد البيت شئ ، وقصد صاحب البيت شئ اخر.. والفرق بينهما كالفرق بين عالم المادة والمعنى ، فهل تصورت الفرق بينهما؟!.. وليعلم ان اغلب الحجاج لا يرجعون الا بزيارة البيت ، ولم يتعرفوا على صاحب البيت ابدا ، والدليل على ذلك رجوعهم من الحج بلا زيادة في المعرفة ، تلك المعرفة التي توصلهم الى ملكوت هذه الآية : { الم يعلم بأن الله يرى }.

2- على الحاج ان يلتفت في جميع المواطن ان حجه يتزامن مع حج صاحب الامر (ع) الذي هو امير للحاج في كل موسم .. فعليه بالاكثار من الدعاء بتعجيل الفرج ، وخاصة في مواطن الاستجابة : كالحطيم ، والمستجار ، وتحت الميزاب ، وخلف المقام ، وعلى الصفا ، وفي موقف عرفة ، وفي ساعات رقة القلب .. فهنيئا لمن راه مولاه داعيا له بحرقة وحنين ، ولك ان تتصور ماهي عاقبة العبد الذي استجيب في حقه دعوة مولاه بين يدي رب العالمين ، وهو في موسم استجابة الدعوات !؟

3- في الحج ولاية وبراعة ، ولا يكتمل احدهما الا بالآخر .. اليس في شهادة التهليل شق براءة متمثلة بـ (لا اله) وشق ولاية متمثلة بـ (الا الله)؟! .. وحتى حجارة الحرم فيها الشقان بصفتهما.. فنقبل الحجر الاسود تارة

اظهارا للولاية .. ونرمي بحجارة الحرم عند الجمرات اظهارا للبراءة تارة أخرى؟! .

4- ان الاغتسال عملية رمزية ليقول العبد بلسان حاله : يارب !.. طهرت ظاهري بما امكن من الماء القراح ، فطهر باطني بماء التوبة الخالصة مصداقا لقولك : { ثم تاب عليهم ليتوبوا } اذ ان توبة عبدك بين توبتين منك !! .. ومن الملفت حقا ان العبد مأمور في الحج باغسال عديدة منها : عند الاحرام والميقات ، ودخول الحرم ، ودخول المسجد الحرام .. وكأنه يريد بذلك ان يجدد توبة بعد توبة ، ليلتقي اخيرا بمحبوبه خاليا من كل درن .

5- عندما تلبى في الميقات مرة او اكثر من مرة ، حاول ان تتذكر كم من المرات قلت لبيك للعباد : الصالحين منهم وغير الصالحين !!.. اولا يكفي هذا التذكر ان تلبى في الميقات وانت خجل من كيفية تلبيتك لله رب العالمين؟!.. فلطالما لبيت نداء الاخرين بكل طواعية واخلاص ، وها انت تلبى في الميقات حريصا على اداء مخارج الحروف فحسب ، من دون التفات الى جوهر التلبية !.. فعلى العبد ان يخشى من ان ياتيه النداء عند التلبية من قبل الرب المتعال قائلا : لا لبيك ولا سعديك!!.. وهذا الذي كان يجري به مدامع المعصومين (ع) عندما كانوا يقفون في الميقات ملبيين برهبة ووجل .

6- هنالك تناسب ملفت بين المواطن الاربعة التي يخير فيها المصلي بين القصر والتمام وهي : مكة مركز (التوحيد والالوهية) ، والمدينة مركز (النبوة) ، والكوفة مركز (الولاية) ، وكربلاء مركز (الشهادة) .

7- ان مكة ليست نقطة جغرافية فحسب بل هي تاريخ مطوي بكل آلامه وافراحه .. فلنتذكر ان هذا المكان هو محل المشروع الالهي الذي كان باتيه

ابراهيم الخليل (ع) ، ومساعدته اسماعيل الذبيح (ع) ، وامام مسجده النبي الاكرم (ص) ، ومحطم اصنامهم علي (ع) .. وتذكر انه ما من موضع انملة الا وعليه موضع قدم نبي او وصي او ولي .

8- كم من الشبه بين ثوب الاحرام الابيض ، وبين الثوب الذي يلف به الطفل الوليد ، وبين الثوب الذي يكفن به الميت الطريح .. وعليه فان موقفك في الميقات موقف بين الولادة والموت ، وقديما قالوا : قم واغتم الفرصة بين العدمين !! .

9- في الميقات يتجرد الانسان عن كل المظاهر التي اكسبته وجاهة صورية لا واقع لها الا الوهم والخيال ، وذلك من اشكال الزينة في المظهر ، والملبس .. اوليس من الحري بالحاج ان يتجرد بموازاة ذلك عن كل اشكال الوهم والخيال الفاسد في الباطن كالخيلاء والعجب والرياء ، والذي لا يعلمه الا الله تعالى ، وكذلك العبد الذي جعله الله تعالى بصيرا على نفسه ولو القى معاذيره .

10- ان تروك الاحرام تعليم للعبد على مخالفة هوى نفسه ، وما هو المؤلف في حياته ك : التطيب ، والتدهين ، والاستمتاع بالنساء ، والتوقى من حرارة الشمس ، ودفع هوام البدن وغير ذلك .. ومن المعلوم ان الطريق الى الله عزوجل لايسلكه العبد الا بمخالفة مقتضيات طبعه ، والخروج عن مألوف عامة الخلق ..

11- ان من مصاديق الفرار الى الله تعالى في قوله تعالى : { ففرروا الى الله } هي الحركة الباطنية اليه ، ولكن الحج حركة ظاهرية للفرار ايضا .. فاذا دخلت المسجد الحرام فتصور نفسك انك عبد آبق ارتمى في احضان مولاه داخل بيته ، وخاصة عند الدخول الاول ، وخاصة في الحجة الاولى فأنها مشاعر لا تتكرر في اي بقعة من بقاع الارض .. و على الحاج ان

يعيش مشاعر متنوعة عندما يدخل المسجد الحرام .. منها : الاحساس بان هذا بيت ربه الودود ، ومنها انه بيت ابيه ، اذ جعل القران الكريم ابراهيم ابا لهذه الامة ، حيث قال تعالى : {ملة ابيكم ابراهيم } ، ومنها انه بيت الامن والامان حيث قال تعالى : { ومن دخله كان امنا } ، ومنها انه بيت الحرية حيث انه البيت العتيق ، ومنها انه بيت البركة حيث قال تعالى : { بركة مباركا }

12- من المعروف – وان لم يكن من المأثور - ان للحاج في الحجة الاولى دعوات مستجابة .. وهذا الامر ليس بغريب اذا ان للضيف في اول ساعات الضيافة اكرام خاص لا يتكرر في الزيارات المقبلة ، اذ ان عدم قيامه بلوازم الادب في بيت المضيف في السفرات السابقة ، قد يحرمه بعض العطاء في الزيارات اللاحقة .. بينما الضيف في زيارته الاولى لم يرتكب اي تقصير في هذا المجال .

13- على الحاج ان ينظر الى من حوله من حجاج بيت الله الحرام على انهم ضيوف رب العالمين ، والله تعالى سريع الانتقام لمن يخل بحقوق ضيوفه مهما كانت عناوينهم السابقة من حيث المعصية .. اذ ان الحاج عندما يأتي للبيت العتيق يتجرد عن كل سوابقه ، ليكتسب حصانة في تلك الديار الامنة.. فلا تنظر الى الحاج بمنظار الصداقة والقرابة ، وانما بمنظار الوفادة على الله تعالى.

14- إن الهدية سنة حسنة لو التزم بها وفاد بيته الحرام .. ولكن ليحذر الحاج من الاسراف والتبذير ، والمباهاة ، في هذا المجال .. ولا ينبغي ان تكون هذه السنة المحبوبة لمولاه ، شاغلة له عن وظائف العبودية في تلك اللحظات الحاسمة .. وكم من القبيح ان يشتغل العبد بذلك ، والمنادي ينادي (حي على الفلاح) وهو في بلد الصلاح والفلاح !!.

15- ان فى الحج تخليدا لذكرى من بذلوا شيئا او تحملوا شيئا فى سبيل الله تعالى ، فها هي امة غريبة مجهولة القدر ، تحملت السكنى بواد غير ذي ذرع ، امتثالا لأمر ولي امر زمانها ، المتمثل بإبراهيم الخليل (ع) ، واذا بررب العالمين ، يعوضها فى الدنيا قبل الآخرة ، من انواع التكريم ما لا يخطر ببال بشر!.. والحاج يهرول حيث هرولت ، ويشرب من الماء حيث زمت ، ويتحاشى الطواف على قبرها ، وكأنه جعل جزءا للبيت العتيق.

16- لو ارادت جهة من جهات الارض ان تجمع هذا الجمع الغفير فى تلك البقاع ، التي ليست فيها اغراءات الطبيعة الخلابة ، والمياه الجارية ، والنسمات العطرة لما استطاعت ، ولو بذلت ما بذلت !! .. ولكن نداء من ابراهيم الخليل (ع) قبل الآف الاعوام ، جذبت هذه الجموع من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق.. اليس هذا مصداقا من مصاديق مباركة المولى جل وعلا فى دعوة من يحب؟!..

17- إن الحاج ممنوع من حمل السلاح فى حال الاحرام ، لئلا يكون وجوده وجودا مهيبا باعثا على الذعر والخوف .. ولكن البعض قد لا يحمل السلاح لا فى الحج ولا فى الوطن ، ولكنه يبعث الذعر فى النفوس - وخاصة فى المستضعفين حوله من الاهل والولد - بتقاسيم وجهه ، ونبرات صوته ، والحال ان المسلم ، من سلم المسلمون من يده ولسانه.

18- كما ان المال منه رزق مقدر من الله تعالى كعطاء خاص منه ، ومنه مال ممنوح للعبد على حسب مقتضيات قواعد الكسب والتحصيل، وكذلك الحج : فمنه حج عطائي بدعوة خاصة من مالك المالك ، ومنه حج يتحقق ببذل شيء من المال لأصحاب قوافل الحج ، من دون ان يكون هناك نظرة خاصة لأصاحب تلك الديار اليه !!.

19- ما اجمل هذا التعريف للحج من فقيه من فقهاء الامامية ، وهو صاحب جواهر الكلام ، حيث يقول عن الحج انه : (رياضة نفسانية ، وطاعة مالية ، وعبادة بدنية ، قولية و فعلية ، وجودية و عدمية) .. ومن الممكن لكل حاج ان يتأمل في الحج ، ليكتشف تعريفا جديدا للحج ، لم يخطر ببال احد ، فللحج اسرار تفتح على القلوب المتلفتة المتعطشة للحقائق .

20- من التعابير الرائعة عن الحج ما ورد عن علي عليه السلام كما في نهج البلاغة : (يألّهون اليه ولوه الحمام) ، رأيت اسراب الحمام الظامنة وهي تحط بجانب الغدير ؟.. فكم يكون حرصها على التزود منها قبل ان تطير الى القاحل من البقاع ؟.. فعلى الحاج ان يرى نفسه كمثل هذا الحمام الذي ساقه العطش الى غدير الحرمين الشريفين ، ليرجع بزاد العام كله ، فهل كل الحجاج كذلك ؟..

21- ان من ثمار الحج الكبرى ان يعود الانسان من الحج بحالة من السكينة والطمأنينة تبقى معه بعد رجوعه من الحج ، وهذه علامة من علامات تميز حجه .. فكما انه يذكر الله تطمئن القلوب ، فكذلك بالحج تسكن القلوب كما روي عن الامام الباقر (ع) حيث قال : (الحج تسكين القلوب) البحار ج 75 ص 183.

22- يبلغ الاكرام الالهي مداه في موسم الحج عندما يقف الانسان بعرفة ، مقرا بالذنوب بين يدي ربه وحينها تغمره الرحمة بحيث يرجع من ذلك الوادي ولا ذنب له .. والملفت في هذا المجال- كما تدل عليه الروايات- ان الذي يشك في المغفرة فقد وقع في الخطيئة ، لانه استخف برحمة مولاه الذي لا يعقل الرجوع من فئائه بالخيبة والخذلان .. ومن هنا لزم على الحاج ان يتفنن في الدعاء في ذلك الموقف العظيم الذي لا نسك ولا عمل فيه سوى الدعاء والالتجاء .

23- ان الله تعالى آلى على نفسه ان يكرم زوار بيته الحرام حتى فى مجال التعويض المادي فى الدنيا ، مقابل الدريهمات التى ينفقها فى كسب الاجر المخلد الذى لا حساب له .. ومن هنا تعددت الروايات فى ان الحج من موجبات الاستغناء ونفى الفقر ، مثل هذه النصوص المباركة : (حجوا تستغنوا) و (تتسع ارزاقكم) و (الحج ينفي الفقر) .

24- ان بعض بركات الحج مما لا تتجلى الا فى الحياة الاخرة ، ولو علم الناس بها فى الحياة الدنيا لاتوا البيت ولو حبوا على الثلوج ، وزحفا على الركب .. الا يكفي فى هذا المجال هذا الحديث الوارد فى مستدرک الوسائل فى جواب موسى (ع) حينما سال الله تعالى عن ثواب من حج هذا البيت بنية صادقة ونفقة طيبة؟! .. فقال تعالى : (اجعله فى الرفيق الاعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) الوسائل ج 8 ص 102 .. او هل هنالك جزاء فوق هذا الجزاء؟! .

25- هنالك الكثيرون ممن يمكنهم الحج الواجب وكذلك المستحب ، ولكنهم يبذرون اموالهم فى ما لا يحل ولا يجمل .. ولو ادخروا شيئا من اموالهم لهذا السفر العظيم ، لاستطاع الكثيرون التمتع ببركات هذه السفر الالهى .. فيقول الصادق(ع) : (ان استطعت ان تأكل الخبز والملح ، وتحج فى كل سنة فافعل) الوافى ج 4 ص 280.

26- ليس الحاج هو المستفيد الوحيد من زيارته لبيت الرب ، بل ان كل منتسب اليه تشمله هذه الرحمة الغامرة .. وقد ورد عن الصادق (ع) : (ان الحاج ليشفع فى ولده واهله وجيرانه) المستدرک ج 2 ص 10 .. فاذا كان هذا عطاء الله تعالى بالنسبة للمقربين اليه فكيف بالعطاء لنفسه؟

27- تدل بعض الروايات على ان الحاج يعيش اجواء الحج وبركاته حتى بعد عودته من الحج ، اذ عليه نور الحج ما لم يلم بذنب .. وقد ورد فى

خبر طريف انه : (لايزال العبد في حد الطواف بالكعبة مادام حلق الراس عليه) بمعنى انه يعد طائفا مادام الشعر قد نبت على راسه بعد الحلق في منى .

28- لابد من الدقة ومراعاة الاحتياط في بذل المال الذي يكون عوضا في سفر الحج ، فان الله تعالى لا يقبل الا ما كان اصله من الطيب لا من السحت .. فان الدين الإلهي مجموع متكامل ، فلا قيمة لعمل من يؤمن ببعض ويكفر ببعض .. وقد ورد في الخبر : (اذا حججت بمال اصله سحت ، فما حججت ولكن حجت البعير) محاسن البرقي .. وفي خبر اخر عن الامام الباقر (ع) : (لا يقبل الله عزوجل حجا ولا عمرة من مال حرام) البحار ج 99 ص 120.

29- ان اخلاص النية في العمل من مقومات القبول في فروع الدين جميعها .. اذ كيف يزكي رب العالمين مالم يقصد وجهه الكريم ؟.. اولى من الخسران ان يشد احداهم الرحال الى ذلك البيت العتيق متجشماً عناء الطريق ، ليفوز بمتاع رخيص من متاع الحياة الدنيا؟!.. فقد روي عن السجاد (ع) انه قال: (من حج يريد به وجه الله ، لا يريد به رياءً ولا سمعة غفر الله له البتة) الوافي ج 2 ص 47 .. ولكن ما اصعب مقياس القبول حيث فسر بأنه (العمل الخالص الذي لاتريد ان يحمذك عليه احد الا الله عزوجل) .. وما اصعبه من مقياس !!.

30- من التوفيقات في الحج ان يكون الانسان في خدمة اخوانه من حجاج بيته الحرام .. وقد كان ائمة الهدى (ع) يخفون انفسهم بين الحجاج لئلا يحرّموا مثل هذا التوفيق .. وقد روي عن النبي (ص) : (سيد القوم خادمهم في السفر) البحار ج 76 ص 273.. ولا شك ان اي حركة في هذا السفر انما هي مرتبطة بشأن من شؤون صاحب البيت ، فلا ينبغي الاستخفاف باي طاعه فلعلها هي المنجية ، او ذلك لان المقصود اكرم الاكرمين .. وقد ورد عن الصادق (ع) التأكيد على تمييز ذلك الحاج

المريض الذي كان مع الراوي في المدينة قائلا : (قعودك عنده افضل من صلاتك في المسجد) فروع الكافي ج 4 ص 545 .

31- ان الحاج مطالب بالبذل وسعة الانفاق سواء على نفسه او على غيره ، مادام كل ذلك يصب في كسب السعادة الابدية التي لا تقدر بثمن .. فقد ورد عن الصادق (ع) ☺ درهم في الحج افضل من الف فيما سوى ذلك في سبيل الله) .. كما ورد ان : الله تعالى يبغض الاسراف الا في الحج والعمرة .

32- من الممكن لمن لم يوفق لحج بيت ربه ، ان يعوض ذلك من خلال خدمة ذوي الحاج وخصوصا اذا كانوا ممن يحتاجون لمثل هذه الرعاية في غياب ولي امرهم .. وقد ورد عن الامام السجاد انه قال : (من خلف حاجا في اهله وماله كان له كأجره) سفينة البحار .

33- ان واقع الحج لا يبدأ من الميقات ، وانما يبدأ من اللحظة الاولى من الخروج من المنزل .. فليحاول الحاج ان يجعل الحج هي الفترة الزمنية المحدودة بين خروجه من المنزل والعودة اليه .. فلا بد من ان يكون مراقبا لنفسه في تمام هذه الفترة ، والا فان الخاسر هو الذي يحاول التوجه الى ربه في الحرمين الشريفين فحسب ، ناسيا بان توفيق التوجه هناك ، انما هي ثمرة لمجموع المجاهدة والذكر المستمر : خفيه وجليه .

34- ان الوسوسة والمبالغة في اتقان ظاهر الحج زيادة عما امر به المشرع المقدس ، قد يسلب الانسان جوهر العبادة .. ومن هنا قد يطوف مراعييا لأحكام الموازية للكعبة وغير ذلك من الاحكام ، قاصرا نظره على ذلك ، ومن دون ان يعيش ادنى المشاعر العرفانية التي تعيشها الملائكة التي تطوف حول ذلك البيت المنسوب في العرش ، والذي يوازي هذه الكعبة الارضية .

35- ان الحجر الاسود يمين الله في ارضه ، فلا بد من استحضار معنى المعاهدة مع رب العالمين ، والبناء على عدم الاخلال بذلك حتى اخر العمر ، وذلك عندما نصل الى تلك النقطة بدلا من مدافعة الحجاج والهجوم اللاواعي عليها .. وقد كان الصادق (ع) يعفي نفسه من ملامسة الحجر معللا ذلك وهو يشير الى جده المصطفى (ص) : انه كان يفرج له وانا لا يفرج لي !!.

36- اننا لا نعلم ما هو هذا السر في عدد السبع المتكرر في الطواف والسعي ورمي الجمرات .. ولعل هنالك تناسبا بينها وبين السماوات السبع والارضين السبع ، فعالم التشريع وعالم التكوين مترابطان اذ ان صاحبهما هو الحكيم المتعال .. والحج مجموعه من الاسرار لا نعرف كنهها ومن هناك كان الحج درسا بليغا فى التعبد بين يدي المولى الذى بيده نواصي الخلق طرا .

37- الطواف درس بليغ من دروس الحياة ففيه : حركة دائبة ، وفيه اتجاه ثابت ، وفيه مساحة محددة ، وفيه محورية حول نقطة واحدة ، وفيه معايشة ومعاشرة للخلق ، وفيه ابتداء وانتهاء ، وفيه صلاة متعقبة ، وفيه طهارة للثوب ، وفيه عدد لا ينبغي تجاوزه ، وفيه شكوك مبطلّة ، وفيه منع للزيادة والنقيصة ، وفيه اشتراط للطهارة من الحدث والخبث .. كل ذلك عناصر لا بد من تواجدها في حركتنا في الحياة: سواء في تعاملنا مع الناس او مع الله رب العالمين .

38- ان التأكيد على عنصر الامامة واتباع حماة لواء التوحيد، لا يكاد يفرغ منه موقف من مواقف الحج .. فان الحاج بعد الطواف مأمور بأن يتخذ من مقام ابراهيم (ع) مصلى .. بمعنى انه مأمور - وهو يريد مناجاة الرب - بان يقف في ذلك الموقف الذي وقف فيه بطل التوحيد ، متحديا

طواغيت زمانه .. فالصلاة المقبولة هي ماكانت على موقع الامامة والولاية

39- كما ان ابراهيم الخليل (ع) امر بتطهير البيت الحرام من الاصنام الظاهرية ، فأننا مأمورون ايضا بتحطيم الاصنام الباطنية التي نتوجه اليها في الخفاء وان لم نعلن عبادتنا لها في الجلاء ، الا وهي الشهوات التي زينت لنا والتي ذكرها القران بأصنافها وانواعها .. فلنتأمل في هذه المقولة لإمامنا الصادق (ع) التي تفتح لك افقا من المعرفة وهي : (القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله) بحار الانوار ج 67 ص 25.

40- ان من الجفاء ان لا يقوم الحاج بزيارة حبيبه المصطفى (ص) وذريته الطاهرة وعمه سيد الشهداء (عليهم السلام) مراعيآ لأداب الزيارة كما هو حقها : استذكارا لحياتهم عند الله تعالى ، ومزوقتيهم من عطاء الله تعالى ، وكرامتهم في قبول شفاعتهم عند الله تعالى ، والبناء على اثبات الصدق في محبتهم وذلك في الاجتهاد في طاعة الله تعالى .. وقد ورد عن النبي انه قال : (من زارني حيا وميتا كنت له شفيعا يوم القيامة) البحار ج 97 ص .. 139 .. كما روي عن علي (ع) : واتموا برسول الله حجكم ، اذا خرجتم الى بيت الله .

من كلمات ووصايا الشيخ حبيب الكاظمي